الأستاذة الدكتورة حياة قارة
جامعة محمد الخامس
الرباط ـ أكدال ـ المملكة المغربية

إجازات السماع في المخطوطات الأندلسية ـ المغربية

بسم الله الرحمان الرحيم

لقد تعددت الإجازات وكثرت اتجاهاتها وطرائقها ، ونوع الإجازات الذي سأتناوله في هذا العرض هو " إجازات السماع في المخطوطات الأندلسية ـ المغربية " ، أو ما يسمى ب " السماعات " ، وأقصد بهاالإجازات التي " تنص على أن الكتاب قد سمعه على مصنفه أو على شيخ ثقة عالم ، واحد أو كثيرون . وقد تكثر هذه الإجازات أحيانا ، فتبلغ العشرة والعشرين ، يكون بعضها مردفا ببعض ، يفصل بين الواحدة ورديفتها خط فاصل ، وقد تقل أحيانا فلا تكون إلا إجازة واحدة "(1)

:ويعرف أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التجيبي المرسي اللقنتي (ت 620 هـ) الإجازة ، فيقول :
" وأما الإجازة فأن يكتب العالم بخطه ، أو يكتب عنه بأمره ، أني أجزت لفلان يروي عني ما صح عنده من حديثي أو مؤلفاتي ، وما أشبه هذا الكلام ، فذلك أيضا في الجواز والقوة كالذي ذكرناه في المناولة وغيرها ، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والحسن بن عمارة وابن جريج وغيرهم من العلماء" . (2)

وتمثل الإجازة وسيلة من وسائل الحفاظ على الإسناد والرواية ، ولم تكن عند القدماء وقفا على الحديث وغيره من العلوم الدينية فحسب ، وإنما أخذوا بها في سائر العلوم النقلية ، يقول أبو طاهر السلفي في كتابه " الوجيز في ذكر المجاز والمجيز " : { وفي الإجازة كما لا يخفى على ذي بصيرة وبصر ، دوام ما قد روي وصح من أثر ، وبقاؤه بمائه وصفائه ، وبهجته وضيائه . ويجب التعويل عليها ، والسكون أبدا إليها ومن غير شك في صحتها وريب في فسحتها ، إذ أعلى الدرجات في ذلك **السماع** ثم **المناولة** ثم **الإجازة** . ولا يتصور أن يبقى كل مصنف قد صنف كبير ، ومؤلف كذلك صغير ، على وجه السماع المتصل على قديم الدهر المنفصل ، ولا ينقطع منه شيء

بموت الرواة ، وفقد الحفاظ الوعاة ، فيحتاج عند وجوه ذلك إلى استعمال سبب فيه بقاء التأليف ، ويقضي بدوامه ، ولا يؤدي بعد إلى انعدامه . فالوصول إذا إلى روايته **بالإجازة فيه نفع عظيم** ، ورفد جسيم ، إذ المقصود به إحكام السنن المروية في الأحكام الشرعية ، وإحياء الآثار على أتم الإيثار سواء كان **بالسماع والقراءة أو المناولة والإجازة** ، لكن الشرط فيه المبالغة في الضبط والإتقان ، والتوقي من الزيادة والنقصان ، وأن لا يعول فيما يروى عن الشيخ بالإجازة إلا على ما ينقل من خط من يوثق بنقله ، ويعول على قوله }(3) .

وللأندلسيين إسهام طيب في التأليف في صنف " الإجازة " ، وهم سباقون فيه عن المشارقة ، وفيما يلي مسرد بالعناوين الموضوعة فيه ، وهي :

1 ـ **كتاب " الوجازة في صحة القول بالإجازة "** لأبي العباس الوليد بن بكر بن مخلد الغمري السرقسطي المتوفى سنة 392 هـ (4) . .

قال عنه أبو طاهر السلفي : " وهو عندنا مسموع نازلا ، ومستجاز عاليا ، استوفى فيه ما يحتاج إليه في هذا المعنى بأوضح عبارة وأحسنها ، وأجود إشارة وأبينها " (5) .

2 ـ **" الكلام على الإجازة والمناولة"** ، لأبي المطرف عبد الرحمان بن محمد بن عيسى بن فطيس القرطبي (ت 402 هـ) (6) .

3 ـ **" كتاب المناولة والإجازة في نقل الحديث "** ، لأبي محمد قاسم بن إبراهيم بن قاسم بن يزيد الأنصاري الخزرجي القرطبي الإشبيلي يعرف بابن الصابوني (ت 446 هـ) (7) .

4 ـ **كتاب " الإلماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السماع "** لأبي الفضل القاضي عياض السبتي المتوفى سنة 544 هـ ، حيث عرض فيه للإجازة بتوسع ودقة . (8)
وكل هذه التواليف مفقودة ، عدا الإلماع .

وإذا كانت **الإجازة** رخصة أو شهادة يمنحها الشيخ للطالب ، يجيزه برواية كتاب أو قسم منه ، حسب نص الإجازة ،
فإن السماع هو أن يشير إلى أنه سمع من الشيخ الكتاب ، وربما وجدنا في أوائل أو أواخر بعض المخطوطات صفحات متعددة من الإجازات والسماعات تتسلسل على مجموعة من الأشخاص ، من مثل : سمعها فلان عن فلان، لتنتهي سلسلة السماع على المؤلف الأصلي .
وتحتجن صفحات عناوين المخطوطات الأندلسية ـ المغربية على إجازات وسماعات ، أو في آخرها ، أو في حواشي صفحة من صفحات الكتاب . ولم تقتصر على كتب الحديث ، بل نجد طرفا منها في كتب التفسير والعقيدة والفقه والتراجم وعلوم اللغة والأدب .

ويستقرئ د. صلاح الدين المنجد إجازات السماع في المخطوطات ، فيجد أنها على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : إقرار مصنف ما بخطه ، أن طالبا سمع عليه كتابه أو كتاب غيره بسنده إلى مصنفه .
الضرب الثاني : إقرار طالب بسماع كتاب على مصنفه .

الضرب الثالث : إخبار بالسماع على شيخ غير المصنف (9) .

وهذه الضروب الثلاثة ، وإن كان أوسعها الضرب الثالث ، هي من الوسائل التي تعطي الكتاب المخطوط قوة علمية ، ولا جدال في ذلك بين المشتغلين بالتراث المخطوط ، لأنها توثق محتواه وتقربه إلى الشكل الأصلي الذي كان عليه في وقت المؤلف نفسه .

وقد درستُ إجازات السماع في مجموعة من المخطوطات الأندلسية ـ المغربية المحفوظة في الخزائن العامة والخاصة ، فوجدتها تحتوي على الضروب المشار إليها سابقا .
ويسعدني أن أقدم لكم نماذج لها في هذا العرض.

ففيما يخص **الضرب الأول** ، وهو : إقرار مصنف ما بخطه أن طالبا سمع عليه كتابه أو كتاب غيره بسنده إلى مصنفه .

فقد وجدت في أول نسخة مخطوطة من صحيح مسلم (محفوظة في خزانة خاصة) على **طباق سماع للقاضي عياض** يقر فيه أن الفقيه أبا تميم المعز بن منصور الزهيلي قرأ عليه هذا الكتاب بأسانيده المتصلة لمسلم . **(الإجازة رقم 1 ، 2) .**
يقول عياض بن موسى بن عياض اليحصبي : " أكمل قراءة صحيح مسلم علي في كتابه هذا سماعا الفقيه أبو تميم المعز بن منصور الزهيلي وفقه الله ، ومعارضته بأصلي ، وأجزته له عن شيوخي بأسانيدي المتصلة به لمسلم رحمه الله ، وكتبت بخط يدي في آخر ثالث رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة " .
فهذا السماع يؤكد على صحة الكتاب وتوثيق صلته بصاحبه ، كما يدل على أن كتابته بخط القاضي عياض بقلمه دليل على أنه من أعلى النصوص .
وللتذكير فإن اهتمام الأندلسيين انصب على خدمة **صحيح مسلم** أكثر من اهتمامهم **بصحيح البخاري** ، كما يقول ابن خلدون .

وفي أسفل هذا السماع ، ما نصه : " بلغت قراءته على الفقيه الإمام الحافظ **القاضي عياض** منتصف رمضان المعظم من عام تسعة وثلاثين وخمس مائة " .
إذن ، فهذه النسخة قد قوبلت وعورضت بأصل القاضي عياض ، كما أنها قرئت عليه في حياته سنة 539 هـ ، قبل وفاته بخمس سنين .
ويعتبر هذا السماع وثيقة هامة تبين لنا الكتب المتداولة والمدروسة في **سبتة** ، كما يكشف لنا **خطوط العلماء .**

الضرب الثـــاني : إقرار طالب بسماع كتاب على مصنفه .

فقد وقفت على ظهر الأصل من كتاب **" تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل "** ، لأبي طالب أو أبي المجد عقيل بن عطية بن جعفر بن محمد عطية القضاعي الطرطوشي المتوفى سنة 608 هـ ، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم 652 ك (10) ، ما
نصه : " يقول عمران بن أحمد بن يعلى بن حمد القماري وفقه الله : سمعت جميع هذا الكتاب في هذه النسخة **مرتين** على مؤلفه الفقيه الجليل الحافظ المحقق المتقن القاضي أبي طالب ابن الشيخ

الفقيه أبي أحمد بن الفقيه الخطيب أبي عبد الله ابن عطية ، وصل الله توفيقهم ، وأذن لي أكرمه الله أن أحدث عنه وأن أقول **حدثني وأخبرني وأجاز لي** رضي الله عنه ، أن أحدث عنه بجميع ما ألفه وحمله على شيوخه على شرط **الإجازة المعتبرة** عند العلماء ، وكان السماع المذكور **بمدينة سجلماسة حرسها الله في عقب ربيع الأخر سنة ثلاث وستمائة " . (الإجازة رقم 6) .**

فهذا **السماع** ينص على المكان الذي سمع الكتاب فيه ، وهو سجلماسة ، ومن المعروف أن أباطالب ابن عقيل الطرطوشي " ولي قضاء سجلماسة " (11) ، كما نصت عليه كتب الصلات الأندلسية . كما ينتهي السماع بذكر التاريخ ، وهو سنة 603 هـ ، وهي سنة تولية المؤلف للقضاء بها ، كما يذكر تلميذ المؤلف مدة السماع ، فيقول : **" سمعت جميع هذا الكتاب في هذه النسخة مرتين " .**

ويقصد بكلمة " مرتين " أي في " مجلسين " أو في " نوبتين " حسب اصطلاح المشارقة . فكاتب هذا السماع هو أبوموسى عمران بن أحمد بن يعلى القماري تلميذ المؤلف ، وهو الذي يسمى **" كاتب الطبقة "** ، والجمع طباق . وغالبا ما نجد في المخطوطات أن فلانا كتب الطباق .

ولهذا السماع شأن كبير ، يبدو في إقرار المؤلف بصحة ما تقدم ذكره بخطه ، يقول أبو طالب الطرطوشي : " ما ذكره الطالب المجتهد أبو موسى عمران بن أحمد المذكور وفقه الله من السماع لهذا الكتاب والإجازة لغيره على الإطلاق صحيح ، فليرو ذلك كله عني ، وليروه غيره إن شاء ، نفعنا الله بالعلم ، وجعلنا من أهله وممن يحمله حق حمله .
وكتب عقيل بن عطية القضاعي في التاريخ ، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى " .

الضرب الثالث : إخبار بالسماع على شيخ غير المصنف .

فقد وقفت في أول نسخة مخطوطة خاصة بفجيج ، من كتاب الروض المريع في صناعة البديع لأبي العباس أحمد بن عثمان بن البنا المراكشي المتوفى سنة 721 هـ ، على إجازة بخط الرحالة المغربي أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري الشهير بابن المعلم الحيحي أو الحاحي المتوفى بعد سنة 715 هـ . **(الإجازة رقم 8)** .

ونصها : " قرأ علي جميعه من أوله إلى آخره الفقيه الأجل المبارك المشارك أبو الأعلام ياسين بن إبراهيم بن زكرياء أكرمه الله تعالى قراءة ضبط وتصحيح لألفاظه ، وحدثته به عن مؤلفه الفقيه العالم القدوة أبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي عرف بابن البناء حفظه الله تعالى ، قراءة مني عليه والله تعالى ينفع جميعنا بالعلم ، ويستعملنا فيما يرضى به عنا ، إنه منعم كريم .
قال ذلك وكتب في الحادي عشر لربيع الثاني عام خمسة عشر وسبع مائة ، العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري ، وهو يحمد الله كثيرا ويصلي على النبي عليه السلام كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " .

تنص إجازة هذا السماع على أن المسمع، هو غير مصنف الكتاب ، كما تكشف هذه الإجازة عن إشارات جديدة ، منها :

ـــ تلمذة **العبدري** وقراءته على ابن البنا كتابه " **الروض المريع في صناعة البديع** " ، وهذه الإشارة لم تحتجنها كتب التراجم .

ـــ تسمية جد العبدري الأعلى " مسعودا " ذكرت في مخطوطات رحلته ، على أن العبدري في إجازته هذه يسميه : " سعودا " .

ـــ ظفرنا بخط الرحالة المغربي " العبدري " في كتابته إجازة هذا السماع ، وهو مدرج في الملحق، بخط مغربي مبسوط ، وفيه ذكر للسنة التي كان العبدري حيا فيها ، وهي سنة 715 هـ ، في حين نحن نجهل تاريخ وفاته ، كما عثرنا في مختصر رحلته لابن قنفذ (منه نسخة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط) ، وفي أوله ذكرت شهرة الرحالة المغربي ب " ابن المعلم " ، وهذه الشهرة لم تعلق بها يد محقق كتابه المعروف " الرحلة المغربية " أو " رحلة العبدري " ، وهو الأستاذ محمد الفاسي.

وعلى ذكر خط العبدري ، أخبركم بأن مخطوطة بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا رقم 1733 من فهرس ابن عطية (ت 541 هـ) ، يوجد في أولها خط العبدري بالتملك له ، ونصه : " صارت هذه الفهرسة بالملك الصحيح الشرعي لمحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري وفقه الله وسدده ، وهي أصل مؤلفها لأبي محمد بن عطية رحمه الله " .

أهمية إجازات السماع وفائدتها ، بعد فحصي لمجموعة من المخطوطات الأندلسية ـ المغربية ، وجدت أنها :

1ـ تحتوي على أسماء أعلام أندلسية ـ مغربية لا نعثر لهم على ترجمة أو ذكر في كتب الصلات الأندلسية ، مثل : أبو موسى عمران بن أحمد بن يعلى بن حمد القماري ، المذكور في **الإجازة رقم 6** ، وأبو تميم المعز بن منصور الزهيلي السبتي ، المذكور **في الإجازة رقم 1 و 2** ، وأبو الحسن علي بن سليمان بن داوود الجامي ، المذكور في **الإجازة رقم 12** .

ومن هنا يمكن صنع ترجمة لهم ، كما يقول صلاح الدين المنجد ، بذكر ما سمعوا من كتب ، وما لقوا من شيوخ ، وما عاصروا من رفاق في طلب العلم ، وما زاروا من بلدان ، ولو أن باحثا انصرف إلى هذا الأمر لاستخرج من السماعات أسماء آلاف من العلماء لم تعرف بهم كتب التراجم (12) .

2ـ تتضمن العنوان الكامل والحقيقي للكتاب ، فمثلا **الإجازة رقم 12** ، ذكرت كتاب **: " واسطة الدرر والعقيان في ترتيب وفيات الفقهاء الأعيان"** ، لأبي العباس الونشريسي ، والمعروف أن هذا الكتاب طبع باسم آخر ، **بتحقيق الأستاذ محمد حجي** معتمدا على نسخ خطية مجردة من عنوانها ، فأثبت ما خاله عنوانها ، وهو " **وفيات الونشريسي** " ، وصدر ضمن مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط عام 1976 .

3 ـ تحتجن خطوط مؤلفي الكتب ، فمثلا **الإجازة رقم 11** المثبتة على ظهر الجزء الثاني من

كتاب " المعلم بأسامي شيوخ البخاري ومسلم " رحمة الله عليهم أجمعين ، كتبت بخط مؤلفها **أبي عبد الله بن خلفون الأونبي الإشبيلي** المتوفى سنة 636 هـ ، **لابن الجامة الإشبيلي** (13) ،

وهي محفوظة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة رقم 136 خصوصية 2019 ، عمومية مصطلح الحديث ، ونصها : " قرأ علي هذا الكتاب والذي قبله ، الفقيه المقرئء الزكي أبو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان الأنصاري المعروف بابن الجامة ، وأذنت له في روايته عني ، والله تعالى المرغوب إليه في أن يوفقنا لطلب العلم ، وأن يجعله خالصا لوجهه بمنه وكرمه .
وكتب مؤلفه محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمان بن خلفون ، وهو يحمد الله تعالى ، ويصلي على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة ، والحمد لله رب العالمين " (14) .

4 ـ تتضمن أسماء مراكز العلم في الأندلس والمغرب ، وحركة تنقل الكتب ، **فالإجازة رقم 6** ، تبرز أن السماع تم في " سجلماسة " سنة 603 هـ ، **والإجازة رقم 7** تذكر أن سماع مجموعة من الأندلسيين لكتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني تم في **منزله بالقيروان** ، في عقب رجب سنة 383 هـ ، **والإجازة رقم 13** ، تدل على أن السماع تم **بمدينة فاس البيضاء** ، **سنة** 727 هـ ، وكتبه عبد المهيمن الحضرمي السبتي .

وهناك ظاهرة تسترعي الانتباه ، وهي أن محققي الكتب التراثية الأندلسية ـ المغربية يحجمون عن نشر إجازات السماع المثبتة في ظهور المخطوطات ، فهذه السماعات تفيد في دراسة علم المخطوطات أو ما يسمى بالكوديكولوجيا ، كما تدل على صحة الكتب وقدمها وتاريخها ، لذلك كان من الضروري نشر نصوصها عند تحقيق الكتب المخطوطة .

ولعلنا نوفق في نشر كتاب يتضمن نصوص إجازات السماع في المخطوطات الأندلسية المغربية.
وبالله التوفيق .

الهوامـــــــــــــــــش

1) إجازات السماع في المخطوطات القديمة ص 233 .

2) برنامج ابي عبد الله المرسي مخطوط في الخزانة العامة ورقة 6 و.

3) الوجيز في ذكر المجاز والمجيز ص 54 - 55 وبرنامج أبي عبد الله المرسي ورقة 7 و.

4) ترجمته في : تاريخ علماء الأندلس وترتيب المدارك 2 / 609 .

5) الوجيز في ذكر المجاز والمجيز ص 58 - 59 .

6) نسبه إليه ابن بشكوال في الصلة 1 / 300 ، وقال : " عدة أجزاء " .

7) نسبه إليه ابن يشكوال في المصدر السابق 2 / 445 .

8) طبع بتحقيق السيد أحمد صقر ، وصدر في القاهرة سنة 1389 هـ / 1970 م .

9) إجازات السماع في المخطوطات القديمة ص 234 .

10) ص 253 .

11) أعلام مالقة ص 329 رقم 148 .

12) إجازات السماع في المخطوطات القديمة ص 841 .

13) ترجمته في الذيل والتكملة 1 / 1 / 147 .

14) وبجوار خط ابن خلفون الحاشية التالية بخط الرقعة الحديث : هذا خط مؤلف الكتاب نبه عليه كاتبه أحمد بن عمر المحمصاني الأزهري .